المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

الهدايات الجزئية في قوله تعالى:

{وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

[الآية : ٦٧ من سورة الزمر]

وأثرها في تعظيم الله

اسم الباحث

د/ عثمان محمد أحمد محمد علي

د. عثمان محمّد أحمد محمّد علي

الهدايات الجزئية في قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٧]

وأثرها في تعظيم الله

مستخلص البحث

الحمد الله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،،

أمّا بعد؛ فيتلخص موضوع هذا البحث في استنباط الهدايات الجزئية من آية التعظيم في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾[الزُّمَر]، والإفادة من أثرها في تعظيم الله تعالىٰ في حياتنا المعاصرة. ويندرج ذلك تحت المحور الثاني من محاور المؤتمر (نماذج تطبيقية في تعظيم الله تعالىٰ في ضوء الهدايات القرآنية) رقم (١).

الهدف من هذا البحث بيان ما في هذه الآية من هدايات ودلالات تُظهر إعجاز القرآن، وتبين المقصد الذي من أجله أنزلت هذه الآية، والإفادة من هذه الهدايات في تعظيم الله تعالىٰ في واقعنا المعاصر.

تتمثل أهمية هذا الموضوع في أن هذه الآية تبرز جانب تعظيم الله تعالىٰ في العالم الأخروي علىٰ طريقة التصوير القرآنية، التي تقرب للبشر الحقائق الكلية في صورة جزئية، يتصورها إدراكهم المحدود، فيحصل بذلك تعظيم الله تعالىٰ وهو مراد الله تعالىٰ في كتابه، وربط ذلك بالواقع المعاصر.

والمنهجية المتبعة في هذا البحث هي المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي، وقد تضمن هيكل الموضوع مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة (النتائج والتوصيات)، وهي كالآتي:

المبحث الأول: بين يدي سورة الزمر والآية ٦٧؛ أبين فيها مقدمة يسيرة للسورة، ومقصد الآية وأحوال نزولها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، وربطها بما يشابهها من الآيات.

المبحث الثاني: الهدايات الجزئية للآية ٦٧ سورة الزمر.

المبحث الثالث: أثر هدايات الآية ٦٧ سورة الزمر في تعظيم الله تعالىٰ، وأسباب تقرير التعظيم في النفوس.

المبحث الأول

بين يدي سورة الزمر

اسمها وفضلها ونزولها ومقاصدها إجمالًا

سُمِّيت (سورة الزمر) من عهد النَّبيِّ ﷺ، فقد روىٰ التِّرمذيَّ: عن عائشةَ، قالت: كان النَّبيُّ ﷺ لا ينام حتىٰ يقرأ الزُّمر وبني إسرائيل[1].

وهذا يدل علىٰ فضلها. وإنَّما سُمِّيت (سورة الزُّمر) لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من سور القرآن. وفي (تفسير القرطبي): عن وهب بن منبِّه: أنَّه سمَّاها (سورة الغرف)، وتناقله المفسِّرون. ووُجِّه أنّه ذُكر فيها لفظ الغُرَف، أي: بهذه الصيغة دون الغُرَفات، في قوله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾ [الزُّمَر].

وهي مكية كلّها عند الجمهور، والأصح أنّها نزلت في المشركين، وما نشأ القول بأنّها مدنية إلَّا لما روي فيها من القصص الضَّعيفة. فبلغت الآيات المختلف فيها تسع آيات[2].

في السورة دعوة إلىٰ الله وحده وتنويه بقدرته وعظمته وعظمة مشاهد الكون، وحكاية لبعض عقائد المشركين وأقوالهم وحمله عليهم، ومقايسات بين المؤمنين والكافرين، وتنويه بالقرآن وأثره في النّفوس الطيبة، وتصوير رائع للبعث والقضاء بين الناس.

وقد تخلل آيات السُّورة أمثال ومواعظ ومبادئ عامة، وتلهم بعضُ آياتها أنَّ فيها إذنًا للمؤمنين بالهجرة. والمقايسات التي فيها جاءت بأسلوب نظمي خاصّ يجعله خصوصية من خصوصيات السُّورة، وفصولها مترابطة تسوِّغ القول بأنّها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة[3]. عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ علىٰ المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزُّمَر]، فبسط رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: **يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ». ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ:« أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»**[4].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٠٥)، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٣٢).

(٣) التفسير الحديث (٤/ ٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٨) واللفظ له.

مقصد الآية:

المقصود من الآية الكريمة بيان وحدانيته وتعظيمه وقدرته -سبحانه- وبيان ما عليه المشركون من جهالة وانطماس بصيرة حين أشركوا معه في العبادة غيره، والتأكيد علىٰ قضية البعث. بل إنَّ أعظم ما نُقل عن النَّبيِّ ﷺ في تعظيم الرب وتمجيده يوم قرأ علىٰ المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر]، كما روىٰ ذلك أبو هريرة، والحديث في (الصَّحيحين)، وعبد الله بن عمر، واستفاضت بذلك الأحاديث الصَّحيحة عن النَّبيِّ ﷺ.

أحوال نزول الآية:

قال ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نزلت في قريش مع الآيات قبلها، وقال: في قوم من اليهود تكلَّموا في صفات الله فألحدوا وجسَّموا، وأتوا بكلِّ تخليط، وعن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمَّد، إنَّا نجد أن الله يجعل السَّماوات علىٰ إصبَع، والأرضينَ علىٰ إصبع، والشَّجَر علىٰ إصبع، والماءَ والثَّرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبَع. فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله حتىٰ بدت نواجذه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر][1]، ومعنىٰ قوله: ثمَّ قرأ هذه الآية، نزلت قبل ذلك؛ لأنّها ممّا نزل بمكة. والحَبر من أحبار يهود المدينة، وفي بعض روايات الحديث فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، وهو وهَم من بعض رواته، وكيف وهذه مكية وقصة الحبر مدنية.

ولقد رُوي في سياق الآية حديثًا عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: يطوي الله السَّماوات يوم القيامة، ثمّ يأخذهنّ بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون، أين المتكبرون[2]. ولقد ذكر ابن كثير هذا الحديث من إخراج الإمام أحمد بصيغة أخرىٰ مماثلة، وفيها زيادات قال: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم علىٰ المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب - التفسير- باب سورة الزمر، الآية ٦٧ بالرقم: (٤٨١١) (٨/ ٤١٢). ومسلم -كتاب صفة القيامة والجنة والنار نحوه بالرقم:(٢٧٨١)، (٤/ ٢١٤٧).

(٢) سبق تخريجه.

﴿٦٧﴾، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يُحَرِّكها يُقبل بِها ويُدبر، يمجِّد الرَّبُّ نفسَه: «**أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ**». فيرجف المنبر برسول الله ﷺ، حتىٰ قلنا: ليَخِرَّنَّ به[1].

والحديث لم يرد بِهذا النَّصِّ أو ذاك في كتب الصِّحاح، ولكن ورد شيءٌ منه فيه، حيثُ روىٰ الشَّيخان حديثًا جاء فيه: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السَّماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين الملوك**». وفي هذه الأحاديث صورة من تعليقات رسول الله ﷺ علىٰ هذه الآية للتَّنويه بعظمة الله بما هو إلهامٌ من عند الله -عزَّ وجلَّ-.

وكلّ ما تقدم يسوغ التَّوقف في الرِّواية، كسبب لنزول الآية في المدينة، والقول إنَّ الآيات وحدة تامّة، ومعطوفة علىٰ ما قبلها، ومتَّصلة به. وعلىٰ هذا يتبيَّن أنَّ هذه الآية نزلت في المشركين، وحالهم أنّهم أشركوا مع الله غيره، ولم يعظِّموا الله حقَّ تعظيمه، وتنبيهٌ للمؤمنين ليتقرَّر هذا المعنىٰ في نفوسهم من البداية، باعتبار أنَّ قضية تعظيم الله أصلٌ من أصول الدِّين، والغالب لدىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّهم كانوا حديثي عهد بالإسلام.

مناسبة الآية:

في مناسبة الآية لما قبلها، أنَّه لما كان التَّقدير: فما أحسن هؤلاء، ولا أجملوا حين دعوك للإشراك بالله، وما عبدوه حقَّ عبادته إذ أشركوا به، عطف عليه قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟﴾[2].

أيضًا في مناسبة الآية لما قبلها: أنَّه لمّا جرىٰ الكلام علىٰ أنَّ الله تعالىٰ خلق كلَّ شيءٍ، وأنَّ له مقاليد السَّماوات والأرض وهو مُلك عوالم الدُّنيا، وذيل ذلك بأنَّ الذين كفروا بدليل الوحدانية هم الخاسرون، وانتقلَ الكلام هنا إلىٰ عظمة مُلك الله تعالىٰ في العالم الأخروي الأبدي، وأنَّ الذين كفروا بآيات الله الدَّالَّة علىٰ ملكوت الدُّنيا قد خسروا بترك النَّظر، فلو اطّلعوا علىٰ عظيم ملك الله في الآخرة لقدَّروه حقَّ قدره[3].

وقد ذكر الله سبحانه هذه العبارة: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ في ثلاث مواضع؛ ليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصِّفات، وليثبت وحدانيته وأنَّه لا يستحق العبادة إلَّا هو، وليثبت ما أنزله

---

(١) أخرجه أحمد (٥٤١٤)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيحٌ، علىٰ شرط مسلم».

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٥٤٩).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٦٠).

علىٰ رسله، فقال في (الزُّمر): ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾، وقال في (الحجِّ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾، وقال في (الأنعام): ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

وفي المواضع الثَّلاثة ذمَّ الذين ما قدروه حقَّ قدره من الكفَّار، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّه يجب علىٰ المؤمن أن يعظِّم الله حقَّ تعظيمه، والمصدر هنا مضافٌ إلىٰ مفعول، والفاعل مرادٌ، أي: اقدروه حقَّ قدره الذي بيَّنه لكم، وأمركم به، فصدِّقوا الرَّسولَ فيما أخبر، وأطيعوه فيما أوجب وأمر[1]. وأمَّا ما يخرج عن طاقة البشر، فذلك لا يذمّ أحدٌ علىٰ تركه، قالت عائشةُ: فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الْحَرِيصَةِ عَلَىٰ اللهْوِ[2].

(١) ينظر: الدُّرّ المصون (٩/ ٤٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٨).

المبحث الثاني

الهدايات الجزئية المتعلقة بتعظيم الله التي تؤخذ من الآية

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، فيها ذمٌّ للمشركين، ومن دار في فلكهم؛ لأنّهم ما عظَّموا الله حقَّ عظمته، ولا عَرَفوه حقَّ معرفتِهِ، ولا وَصَفوه حقَّ وصفِهِ، فقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح][(١)].

٢- قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، وفيه تنبيهٌ للمؤمنين لكيلا يقولوا مثل مقالة المشركين، بل الواجب عليهم أن يعظِّموا الله حقَّ تعظيمه، ويصفوه حقَّ صفته ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ][(٢)].

٣- قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، فيها أنَّ مَن آمن أنَّ الله علىٰ كلِّ شيء قديرٌ؛ فقد قدر الله حقَّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حقَّ قدره، وهم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله تعالىٰ عليهم[(٣)]، ففاتهم تعظيمه من هذه الجهة.

٤- قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، تفيد إقرار النَّبيِّ ﷺ للحبر علىٰ ما ذكر من صفة الله تعالىٰ التي تضمنتها كتبهم، ثمّ قراءته الآية بيانًا لكونهم مع ذلك لم يعظِّموه، فجحدوا أمره، وكذَّبوا دينه، بدلالة قراءة النَّبيِّ ﷺ لهذه الآية، في الحديث عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول أَنَا المَلِك أَين ملوك الأرض»، وعن عبد الله بن مسعود، قال: جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد، إنَّا نجد أن الله يجعل السماوات علىٰ إِصبَع، والأرضينَ علىٰ إصبع، والشجَر علىٰ إصبع، والماءَ والثَّرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبَع. فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ، حتىٰ بدت نواجذه، ثمّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[(٤)].

٥- في السِّياق قبل الآية أنَّ التَّعظيم ممَّا اتفقت عليه شرائع الأنبياء، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر]، ويؤيّده حديث الحبر المتقدم.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل (٣/ ٦٨٥)، وجامع البيان (٢١/ ٣٢٣).

(٢) ينظر: بحر العلوم (٣/ ١٩٣).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١١٣).

(٤) سبق تخريجه.

٦- تفيد أنَّ المسلمين ليسوا مختصين بذكر ما سموه تجسيما، بل يلزم أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ من ذلك نظير ما يلزم المسلمين، ولم يجز للنَّصارىٰ أن يجعلوا ذلك نظير ما اختصوا به من التثليث والاتحاد، فإن ذلك مختص بهم إذا ثبت بدلالة النُّصوص التي في التوراة والكتب المتقدمة باتفاق أهل الكتاب، وبما يشهد علىٰ ذلك من أخبار الرَّسول نظير الحديث السَّابق، وترك إنكاره لما في التوراة، وتصديقه علىٰ ما كانوا يذكرونه من ذلك [(١)].

٧- فيها أنَّ أصل عبادة الله معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله؛ ولهذا كان مذهب السَّلف أنّهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. والذين ينكرون بعضَ ذلك ما قدروا الله حقَّ قدره، وما عرفوه حقَّ معرفته، ولا عبدوه حقّ عبادته[(٢)].

٨- فيها ردٌّ علىٰ قول من قال: إنَّ الله تحيط به المخلوقات، فإنَّ الله لا تحوزه المخلوقات، فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السّموات والأرض، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[(٣)].

٩- تشير أنَّ الذُّنوب والمعاصي تنقص تعظيم الله عند العبد.

١٠- تفيد أنَّه تعالىٰ يدير الكون ويحلّ كلّ عقد المشاكل، وأنّ الأرزاق بيده، وحتىٰ الشفاعة إنّما تتمّ بإذنه وأمره، فما معنىٰ توجه من يعلم بكلّ هذه الحقائق إلىٰ غير الله.

١١- تفيد أنَّ الإشراك بالله، وفساد العقيدة من أسباب عدم تعظيم الله، ولذلك قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، أي: زعموا أنَّ له شركاء، وأنَّه لا يقدر علىٰ إحياء الموتىٰ، مع أنَّ الأرض والسَّموات في قبضة قدرته[(٤)].

١٢- أنَّه لا يستحقُّ أحدٌ من الخلقِ أن يعظِّمَ كما يعظَّمَ اللهُ؛ فيستحقُّ -جلَّ جلالُه- من عبادِهِ أن يعظِّمُوه بقلوبِهم، وألسنتِهم، وجوارحِهم؛ وذلك ببذلِ الجهدِ في معرفتِه، ومحبتِه، والذلِّ له، والانكسارِ له، والخضوعِ لكبريائِه، والخوفِ منه، وإعمالِ اللسانِ بالثناءِ عليه، وقيامِ الجوارحِ بشكرِه وعبوديتِه. ومن تعظيمِه: أن يُتَّقىٰ حقَّ تقاتِه؛ فيطاعَ فلا يُعْصَىٰ، ويذكرَ فلا يُنسىٰ، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٤٢١).

(٢) رسالة الفرقان بين الحق والباطل (٧٥).

(٣) الرسالة التدمرية (٢/ ٤٥).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٢١٩).

١٣- أنَّه موصوفٌ بكلِّ صفةِ كمالٍ، وله من ذلك الكمالِ أكملُه، وأعظمُه وأوسعُه، فلهُ العلمُ المحيطُ، والقدرةُ النافذةُ والكبرياءُ والعظمةُ، ومن عظمتِه أنَّ السَّمواتِ والأرضَ في كفِّ الرَّحمنِ أصغرُ من الخردلَةِ، كما قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

١٤- فيها ردٌّ علىٰ الجهمية؛ لأنَّ لهم قدح في أصل التّوحيد، فإنّهم لا يقدرون الله حقّ قدره، فلا يقبض عندهم أرضًا، ولا يطوي السَّماء بيمينه، بل ليس له قدر في الحقيقة الخارجية عندهم، وإنّما قدره عندهم ما يقوم بالأنفس والأذهان، فيثبتون لقدره الوجود الذِّهني دون العيني[(١)].

١٥- فيها بيان أنَّ العالم العلوي والسُّفلي بالنسبة إلىٰ الخالق تعالىٰ في غاية الصِّغر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[(٢)].

١٦- فيها أنه -سبحانه- مستحقٌّ للحمد والثناء والمجد والشكر، ولا أحد يحسن أن يحمده كما يحمد نفسه، ولا يثني عليه كما يثني علىٰ نفسه، ولا يمجّده كما يمجِّد نفسه، كما في حديث ابن عمر الذي في (الصّحيح)، لما قرأ النَّبيُّ ﷺ علىٰ المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، قال: «**يقبض الله سماواته بيده، والأرضون بيده الأخرىٰ، ثم يمجد نفسه فيقول أنا الملك، أنا القدوس، أنا السلام، أنا المؤمن، أنا المهيمن، أنا العزيز، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئًا، أنا الذي أعدتها، أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون**»[(٣)]، أو كما قال.

١٧- تفيد أنَّ الشِّرك إنَّما وقع بترك التَّعظيم لله تعالىٰ، كما في السِّياق قبلها ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر].

١٨- ويستفاد من نظائرها أن إنكار النُّبوات سببه تركُ تعظيم الله تعالي، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام].

١٩- أن تعظيم غير الله عز وجل وترك تعظيمه تعالىٰ سبب للوقوع في الإشراك بالله، كما يستفاد من سياق آيات الحج قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٧٨٨).

(٢) الرسالة العرشية (١٦).

(٣) سبق تخريجه.

﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج].

٢٠- حسن تعليم القرآن الكريم ؛ لأنه لما نفىٰ عنهم أنهم قدروا الله حق قدره؛ بين وجه ذلك فهو عزو جل أعظم من كل شيء قال تعالي: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[(١)].

٢١- قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾ تدلُّ علىٰ باهر قدرته الذي هو لازم القبض والطي بما يكون من الحال في طي هذا الكون، لأن تعظيم كل شيء ينسب إليه كناية عن العظمة بذلك الشيء[(٢)].

٢٢- تشير إلىٰ التفكر والتأمل في مخلوقات الله لا سيما السموات والأرض، قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[غافر].

٢٣- قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فيها دلالة علىٰ أن الأرض والسماوات باقية غير مضمحلة، ولكن نظامهما المعهود اعتراه تعطيل[(٣)].

٢٤- فيها أن القبضة تدل علىٰ تمام التمكن من المقبوض وأن المقبوض لا تصرّف له ولا تحرّك، وهذا إيماء إلىٰ تعطيل حركة الأرض وانقماع مظاهرها إذ تصبح في عالم الآخرة شيئًا موجودًا لا عمل له وذلك بزوال نظام الجاذبية وانقراض أسباب الحياة التي كانت تمد الموجودات الحية علىٰ سطح الأرض من حيوان ونبات[(٤)].

٢٥- قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ تفيد كمال قدرته سبحانه وسلطانه، علىٰ مخلوقاته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه، فيكون في قبضته[(٥)].

٢٦- في تخصيص هذه الأحوال بيوم القيامة، في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أن مراتب التعظيم كثيرة فأولها تقرير عظمة الله بكونه قادر علىٰ حفظ هذه

---

(١) تفسير ابن عثيمين سورة الزمر ص(٤٥٤).

(٢)ينظر: نظم الدرر، البقاعي (١٦/ ٥٥٠).

(٣)التحرير والتنوير، ابن عاشور(٢٤/ ٦٣).

(٤)التحرير والتنوير، ابن عاشور(٢٤/ ٦٢).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٤/ ٥٤١).

الأجسام العظيمة، ثم بعد تقرير عظمته كونه قادر علىٰ إمساك أولئك الملائكة الذين يحملون العرش(١).

٢٧- قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ تنبيه علىٰ عظمته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلىٰ قدرته، ودلالة علىٰ أن تخريب العالم أهون شيء عليه(٢).

٢٨- قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ تفيد سعة الأرض وكبرها وانها دليل كافي في العظمة وإن لم يدركوا أنها سبع، أكد بما يصلح لجميع طبقاتها تنبيهًا للبصراء علىٰ أنها سبع من غير تصريح به، فقال: ﴿جَمِيعًا﴾(٣).

٢٩- فيها أنَّ الأرض وما تحويها والسَّماوات مع عظمتها لا تساوي عند الله شيئًا بدلالة قوله: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾، لأنّ أحقر ما عند الإنسان وأخفّه عليه ما يحويه في قبضته، مثل بذلك في قوله مخبرًا عن المبتدأ مفردًا بفتح القاف لأنه أقعد في تحقير الأشياء العظيمة بالنسبة إلىٰ جليل عظمته: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾(٤).

٣٠- قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ تفيد أن في الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة، ولكن الأمر في الآخرة بخلاف هذا لانقطاع الأسباب ولهذا قال: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(٥).

٣١- تفيد منهج القرآن في طريقة التصوير، التي تقرب للبشر الحقائق الكلية في صورة جزئية، يتصورها إدراكهم المحدود في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾(٦).

٣٢- تفيد مخاطبة السامع بما يعرف ويعلم، ودليله أن الله عز وجل خاطبهم بما تعارفوا فيما بينهم حقيقة.

٣٣- إثبات اليد لله تعالىٰ؛ لقوله: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾، وقوله: ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾(٧).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٧٣).
(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٥/ ٤٨).
(٣) نظم الدرر (١٦/ ٥٥٠).
(٤) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٥٥١).
(٥) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٥٥١).
(٦) ينظر: الظلال (٦/ ٢١٣).
(٧) تفسير ابن عثيمين (٤٥٤).

٣٤- في الآيات إشارة تعنيفية إلىٰ الكفَّار المشركين علىٰ عدم إدراكهم حقَّ الإدراك، وتقديرهم حقّ التَّقدير مدىٰ عظمة الله وقدرته وشأنه، واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة، وتنزهه وتعاليه عن الشُّركاء. واستطراد إلىٰ ذكر ما يكون يوم القيامة من دلائل عظمته وقدرته.

٣٥- فيها أنَّ مصدر الشِّرك هو عدم معرفة البارئ -عزَّ وجلَّ- بصورة صحيحة، ولذلك سئل أبو بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بمَ عرفت ربَّك؟ قال: «عرفتُ ربِّي بربِّي، ولولا ربِّي ما عرفت ربِّي»[(١)].

٣٦- قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ فيها تنزيه الله عن كلِّ شائبة نقص، وما يؤدِّي إلىٰ النَّقص من الشِّرك والتَّجسيم والتَّشبيه بالمخلوقين، وما شاكله[(٢)].

٣٧- إثبات علو الله تعالىٰ لقوله: ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٣)].

٣٨- فيها أنّ الله خالق كلّ الموجودات التي تحتاج إليه في كلّ لحظة من لحظات وجودها.

٣٩- وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فيها تنزيهٌ وتبرئةٌ لله، علوًّا وارتفاعًا عمّا يُشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمّد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا[(٤)].

٤٠- التَّباين العظيم بين الرَّبِّ الخالق العظيم وبين الأصنام المعبودة التي يُشرك بها مع الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٥)].

---

(١) شرح العلامة الصاوي علىٰ جوهرة التوحيد (١٢٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٥٥٢).

(٣) تفسير ابن عثيمين (٤٥٤).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢١/ ٣٢٩).

(٥) تفسير ابن عثيمين (٤٥٤).

المبحث الثالث

أثر هدايات (الآية ٦٧: سورة الزمر) في تعظيم الله تعالى وأسباب تقرير التعظيم في النفوس

هدايات التعظيم:

إنَّ هدايات هذه الآية لها أثر كبير في تعظيم الله عز وجل إذا تأمّلها النّاس وطبّقوها في واقعهم المعاصر، ويمكن إجمال هذه الآثار في النقاط التالية:

- **تصحيح العقيدة في الله تعالىٰ:**

فإنَّ الاعتقاد الصَّحيح في أسماء الله وصفاته روح التَّعظيم وأساسه، فإنَّ من أعظم أسباب تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ: تدبر معاني أسمائه الحسنىٰ، وما تدلّ عليه من صفات، وما توجبه من آثار عظيمة، ولذلك نبَّه الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ التَّأمّل والتَّدبُّر في تلك الآثار، فقال في صفة (الرَّحمة): ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الروم]، فإذا جهل الإنسان معاني تلك الأسماء الحسنىٰ، وجهل ما تدلّ عليه من صفات.

- **إخلاص العبادة لله:**

فإنَّ من أخلص الله في عبادته فقد عظَّم الله، واعتراف لله -عزَّ وجلَّ- بألوهيته، وقد أرشد النَّبيُّ ﷺ إلىٰ تعظيم الله في أمّهات العبادة، فالصَّلاة وهي أعظم الشَّعائر التعبدية بعد الشَّهادتين كلّها قائمة علىٰ التَّعظيم لله -عزَّ وجلَّ-، وكان ﷺ يستفتح الصَّلاة بعبارات التَّعظيم والتَّمجيد والإجلال لله -عزَّ وجل-. ففي (السُّنن): عن عائشة وأبي سعيد أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا استفتح الصَّلاة، قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»(١).

- **التَّفكُّر في مخلوقات الله:**

إنَّ من مظاهر تعظيم الله -تعالىٰ- التَّفكُّر في خلقه وفي الكون كلِّه، فالتَّفكُّر في إعجاز الله -تعالىٰ- في الكون يملأ القلب إيمانًا وإجلالًا، ويدفع اللِّسان للدُّعاء. ومن الأدلة القرآنية علىٰ ذلك: ما جاء في قوله -سبحانه- في (سورة آل عمران): ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥)، والنسائي (٨٨٩).

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، وتجدر الإشارة إلىٰ أنّ التفكر في الكون يكون بالتأمل بخلق السماوات والأرض والشمس والقمر ودورانهما، وتعاقب الليل والنهار، والتفكر في خلق النبات والحجر والشجر، وغير ذلك، فإن بيان هدايات هذه الآية في تعظيم الله -تعالىٰ- يُؤتي ثمارًا عظيمة، منها إقامة الخوف من الله في القلوب، ونزع رهبة الآخرين من الصدور.

- **العمل الصَّالح، وتجنب الذُّنوب والمعاصي:**

إنَّ كلَّ عمل صالح من طاعةٍ وعبادةٍ، وكلَّ عمل صالح مع خَلق الله وعباده هو من شعائر الله، وعليه فإنَّ أداء العبادات علىٰ الوجه الذي ارتضاه الله تعالىٰ، والعمل الصَّالح مع الخلق كلّها من مظاهر تعظيم شعائر الله -تعالىٰ- التي تُوجب محبّته ورضاه.

- **الإيمان باليوم الآخر:**

من القضايا المهمة التي أشارت إليها هدايات الآية: الإيمان باليوم الآخر، فإنَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر]= يدلّ علىٰ أن يستشعر الإنسان قضية اليوم الآخر وملكية الله، حتىٰ تكون دافعًا له علىٰ تعظيم الله عز وجل وخشيته، ومن ثم يكف عن كل فعل يغضب الله تعالىٰ.

- **معرفة الله تعالىٰ:**

إن معرفة الله تعالىٰ طريق إلىٰ تعظيمه، ومن عظم الله تعالىٰ عرف أحقيته بالعبادة والتذلل بين يديه والخضوع والانكسار له، ومن عظم الله تعالىٰ عظم شرعه وعظم دينه وعظم رسله وعرف مكانتهم، ومن عظم الله تعالىٰ أخلص له وكان من المحسنين لأنه يستشعر رقابة الله الذي له ملك كل شيء ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزُّمَر].

- **الإيمان بالبعث:**

حيث ذكر دلائل العظمة والقدرة علىٰ ما هو أعظم من النشور؛ وذلك من أساليب القرآن في إثبات البعث، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ

رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس].

أسباب تقرير التعظيم في النفوس:

١- التفكر في عظيم القدرة وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزُّمَر: ٦٧].

٢- استحضار النعم وأعظمها الهداية الربانية، وإليها الإشارة في قوله في الآية السابقة لها: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمَر].

٣- العبودية الحقَّة والتَّذلُّل لله تعالىٰ، ولذلك أمر بالعبادة.

٤- الإخلاص والتَّوحيد لله -عزَّ وجلَّ-، فإنَّه يقيم التَّعظيم والمهابة في القلب، ولهذا قدم لفظ الجلالة علىٰ عامله لإفادة القصر.

٥- استحضار الدَّار الآخرة والحساب والجزاء، وقد جاء ذِكره في السِّياق بعد الآية بتفصيل وترتيب وتصوير لأحداث الآخرة.

٦- تدبر معاني أسمائه الحسنىٰ، وما تدلُّ عليه من صفات، وما توجبه من آثار عظيمة، ولذلك نبَّه الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ التَّأمُّل والتَّدبُّر في تلك الآثار، فقال في صفة الرَّحمة: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم].

٧- معرفة الله المعرفة الصَّحيحة التي تنطلق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فتعظيم الله ثمرة من ثمرات المعرفة الحقة.

الخاتمة

وتشمل: النتائج والتوصيات:

توصل الباحث بتوفيق الله إلىٰ جملة من النَّتائج والتَّوصيات يمكن تلخيصها في الآتي:

أولاً: النتائج:

١- أن هدايات هذه الآية لها أثر كبير في تعظيم الله عز وجل إذا تأملها الناس وطبقوها في واقعهم المعاصر.
٢- أن من وسائل تعظيم الله تعالىٰ: تدبر القرآن والتأمل في سوره وآياته، فالقرآن كله ينطق بالتعظيم والتمجيد والإجلال لرب العالمين.
٣- أن قضية تعظيم الله أصل عظيم من أصول الإيمان.
٤- أن تحقيق التوحيد لله والسلامة من الشرك ووسائله من أسباب تعظيم الله.
٥- أن من أعظم ما يفيد الفرد والأمة في واقعها المعاصر أن تستشعر عظمة الخالق في خلقة وقدرته وملكوته.
٦- أن هنالك ربط بين توحيد الله وعبادته والثقة به والتوكل عليه وبين تعظيم الله.
٧- أن تعظيم الله عز وجل غاية في حد ذاته ووسيلة إلىٰ كثير من الطاعات والقربات.
٨- أن تعظيم الله عز وجل يقود إلىٰ احتقار ما يعظمه البعض من دون الله سبحانه.
٩- أن تعظيم الله عبادة قلبية لكن أثرها كبير في علىٰ الجوارح.
١٠-أن إثبات صفات الله عز وجل تحقق تعظيم الله، ومن أنكروا صفات كماله وجلاله وعظمته (ما قدروا الله حق قدره).
١١-أن مما يوجب تعظيم الله تعالىٰ أن نتعرف علىٰ نعم الله تعالىٰ ونتذكر آلاء الله عز وجل.
١٢-أن ما ذكر في هذه الآية من عظمة الله فهذا مما تحتمله العقول وإلا فعظمة الله لا يحيط به عقل.

ثانيًا التوصيات:

١- الاهتمام بالقرآن الكريم وهداياته لاسيما ما يحويه من تعظيم إجلال لله عز وجل.
٢- إقامة الدروس والمحاضرات والخطب والندوات لتربية الأمة في جانب تعظيم الله.
٣- إدخال دروس تعظيم الله عز وجل في المناهج بحسب مستوياتها والاهتمام بهذا الملحظ لتربية النشء من الصغر علىٰ تعظيم الله.

٤- إعداد برامج علمية وإعلامية وتربوية في تعظيم الله عز وجل، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، لا سيما سيرة النبي صل الله عليه وسلم، وإبراز جوانب التعظيم التي تربط بين القرآن والسيرة.

٥- ربط قضية تعظيم الله بدروس العقيدة والأخلاق والتفسير والحديث والإعجاز وغيرها للتنبيه علىٰ هذه القضية.

المصادر والمراجع

١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد: دار العاصمة، السعودية الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.

٣- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونيسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي،دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٤هـ- ٢٠٠٣م.

٥- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

٦- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، عبد الله محمود شحاته.

٧- تفسير القرآن الكريم، سورة الزمر للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ط١ (١٤٣٦ هـ)

٨- الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٩- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ. الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١١- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢.

١٢- الرسالة التدمرية، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس.
١٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ،دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٤- الرسالة العرشية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ
١٥- جامع الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد عيسى بن سَوْرَة التِّرمذي، دون الطبعة والتاريخ، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٩٧٥م.
١٦- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٤٢٢ه.
١٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، دار الفكر، ط٢، ١٣٨٤هـ،١٩٦٤م.
١٨- سنن النسائي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، دون الطبعة والتاريخ، بيت الأفكار الدولية، الرياض،١٤٠٦ه.
١٩- صحيح مسلم، للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت.١٤١٠ه.
٢٠- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط: ١٧ - ١٤١٢هـ.
٢١- المحرر الوجيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٢٢- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٢٣- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل: دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

٢٤- شرح العلامة الصاوي علىٰ جوهرة التوحيد، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الفتاح البزم: دار ابن كثير دمشق بيروت.

٢٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفىٰ: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.

٢٦- رِسَالَة الْفُرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨ هـ).

وصلَّىٰ الله وسلَّم وأنعم علىٰ نبيِّنا محمّد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا،،